



رستموف)، المسرحية الغنائية للكمانشا مع أوركسترا الآلات الشعبية (نظيم قوليف)، مونولوج للكمانشا والبيانو (رامز زهرابوف). وبلا شك، فسوف يقوم المؤلفون الموسيقيون الآذريون بإسعاد محبي الموسيقى وعشاقها أكثر فأكثر بالمزيد من المؤلفات المكتوبة لتلك الآلة الموسيقية الرائعة.

المراجع

مودر أ. الآلات الموسيقية. موسكو، «دار النشر الموسيقية الحكومية- موزجيز»، ١٩٥٩، ص ١٥.
 بهمان ف. مصادر آسيا الوسطى حول موطن الآلات ذات الأقسام // موسيقى شعوب آسيا وأفريقيا، الإصدار ٢. موسكو، «المؤلف السيمفوني السوفيتي»، ص ٣٤٩-٣٧٣.
 Marağalı Ə. Musiqi alətləri və onların .
 növləri // Qobustan, 1977, № 1, s. 77.
 عبد اللايفا س. الآلات الموسيقية الشعبية في أذربيجان. باكو، دار نشر «إيلم»، ٢٠٠٠، ص ٧٩.
 «İşıq Bakıxanov Ə. Ömrün sarı simi, Bakı, 1985, s. 16.

الكمانشا، مثلها مثل التار، واحدة من أبرز الآلات الموسيقية في تشكيل أوركسترا الآلات الشعبية ومختلف الفرق الموسيقية، وذلك باعتبارها الآلة الموسيقية المنفردة أو المصاحبة. وتصدح الكمانشا أيضا في عروض المنوعات الموسيقية في الأداء المنفرد لها. وقد صاحب عرض فنان الشعب الأذربيجاني قابيل علييف، العازفون على البلابان والجافالا بصورة ناجحة للغاية. ويعود الكثير من الفضل إلى ذلك المؤدى الرائع، في تعريف العالم ليس فقط بروعة الموسيقى الشعبية الأذربيجانية، بل في تعريفه أيضا بالقدرات غير العادية لتلك الآلة.

وتلعب الكمانشا أيضا دورا هاما في تطوير الموسيقى الاحترافية المعاصرة في أذربيجان. واعتمادا على القدرات التقنية للآلة، تم وضع العديد من المؤلفات الموسيقية الشهيرة، مثل كونشرتات الكمانشا مع الأوركسترا السيمفوني (زاکر باجировف، وحاجي خان محمديف، وتوفيق بكخانوف) ومع أوركسترا الحجر (عدوية رحميتوفا)، «سكيرسو» (ثلاثي الآلات- المترجم)، و«ترانتيللا» (الموسيقى ذات الإيقاع السريع- المترجم)، و«السويت الراقص» (سليمان عيسكيروف)، «المعزوفات القصيرة اللحنية» (سيد

style”- المترجم) والمرونة، والحيوية والتفاصيل الدقيقة الفارقة، وهي في الإنشاد الجماعي تتفوق عليها. وليس من قبيل الصدفة أن العديد من المصطلحات والنوعت التي تعكس مختلف الظلال الحيوية في الأداء الشعبي الأذربيجاني، قد جرى وضعها تحديدا لآلة الكمانشا.

ويتجسد الفن الأدائي لآلة الكمانشا بصورة خاصة عند الأداء المنفرد (الصولو) لمقامات الآلات الموسيقية (خاصة مقامات ”شوشتار“، و”شور“، و”بياتي- شيراز“). فهنا تحديدا تُستخدم كل اللمسات والأصابع الخاصة بآلة الكمانشا، وكذلك الصوت المزدوج الخفي والنقر الثابت بالقوس على الأوتار المكشوفة (”bourdon“- المترجم). ويمكن الشعور بتشابه صوتها خاصة مع غناء الخانندي (الخانندي هو المغنى الشعبي الأذربيجاني للمقامات- المترجم) في الفرق الموسيقية لآلة الساز (الساز هي آلة شعبية وترية تنتشر لدى شعوب القوقاز وإيران وتركيا وغيرها- المترجم)، وذلك عندما يقوم عازف التار بمصاحبة عازف الكمانشا والخانندي. وفي بعض الأوقات يقوم باعتباره مؤديا للآلة الرئيسية، بتولى وظيفة عازف التار أو يبدأ في عزف اللحن متأخرا بعض الشيء عن عازف التار. وخلال العروض كثيرا ما يقوم عازف الكمانشا باستخدام المحاكاة، أي أن عازف الكمانشا يقلد عازف التار، مثلما يقلد عازف التار الخانندي. وفي هذه الحالة كأننا نحصل على محاكاة نمطية ثلاثية الصوت.

وليس هباءً أن سُميت آلة الكمانشا «مُحاور التار». وتحتفظ مكتبة الشركة الأذربيجانية للبحث الإذاعي والتلفزيوني بتسجيلات للمقام الإيقاعي «منصوري»، من أداء الخانندي الشهير جبار قرياقدي أو غلو بمصاحبة آلة الكمانشا.

بالإضافة إلى المقامات، تحتل مكانة كبيرة في عروض آلة الكمانشا مختلف نماذج الأغاني والرقصات والمسرحيات الشعبية الموسيقية.

بدءا من النصف الثاني من القرن الماضي، صارت

لمنتصف المسافة بين الطرف السفلى للرقبة والسنادة. وعند تحريك القوس فوق الأوتار بالقرب من الرقبة يتم الحصول على الأصوات الناعمة. وتتميز تقنية تحريك القوس فوق آلة الكمانشا عن العزف على الكمان، في أن المؤدى يدير الآلة بيده اليسرى ناحية سطح حركة القوس. ولم تكلل بالنجاح محاولة تزويد الآلة بالمخفات (التي تخفت الصوت- المترجم)، لذلك يُستخدم لتخفيف صوت الأوتار ورقة ملفوفة محكمة، أو قطعة من القماش أو المطاط، والتي توضع بين سطح الآلة والأوتار أسفل السنادة. ويُشارك في العزف أربعة أصابع لليد اليسرى. وتُوزن أوتار الآلة على فواصل الرباعي والخماسي. ولكن عند الأداء المنفرد (الصولو) والأداء الغنائي للمقام بمصاحبة الآلات الموسيقية، يتم دوزنة الوترين الثالث والرابع طبقا لطبيعة المقام الموسيقى الذي يقوم على أساسه العمل المؤدى، أما الوتر الأول فيظل بلا تغيير. ويبدأ النطاق الموسيقى للكمانشا من- «لا» في الأوكتاف الصغير حتى «لا» في الأوكتاف الثالث. وعند أداء بعض المعزوفات تؤخذ نوتة «مي» من الأوكتاف الرابع. ويمكن الحصول على المقام الصوتي المنخفض الغليظ المعتم بالوترين الرابع والثالث، والحصول على المقام الأوسط (الخفيف، الواضح، الناعم)- من الوتر الثاني، أما المقام الصوتي العالى (الرقيق والصوت المجلجل)- من الوتر الأول. والنطاق الصوتي الأوسط للآلة هو الأقوى صوتا والأوضح جرسا- والأكثر استخداما.

أثناء العزف على آلة الكمانشا، عادة ما يجرى استخدام مختلف أنواع المزج بين استخدام القوس ولمسات الأصابع والتكرار، والاندماج والتفاعل للذاتان يفرضهما المحتوى الشعوري لبناء المعزوفة، ويقوم العازف باختيار المناسب من تلك الأنواع طبقا لمهارته وذوقه الفنى.

الكمانشا هي- أكثر الآلات الموسيقية الصداحة «تغريدا» بين الآلات الموسيقية الشعبية الأذربيجانية. وهي لا تقل حتى عن آلة التار من حيث الطابع الصوتي (”melismatic“)



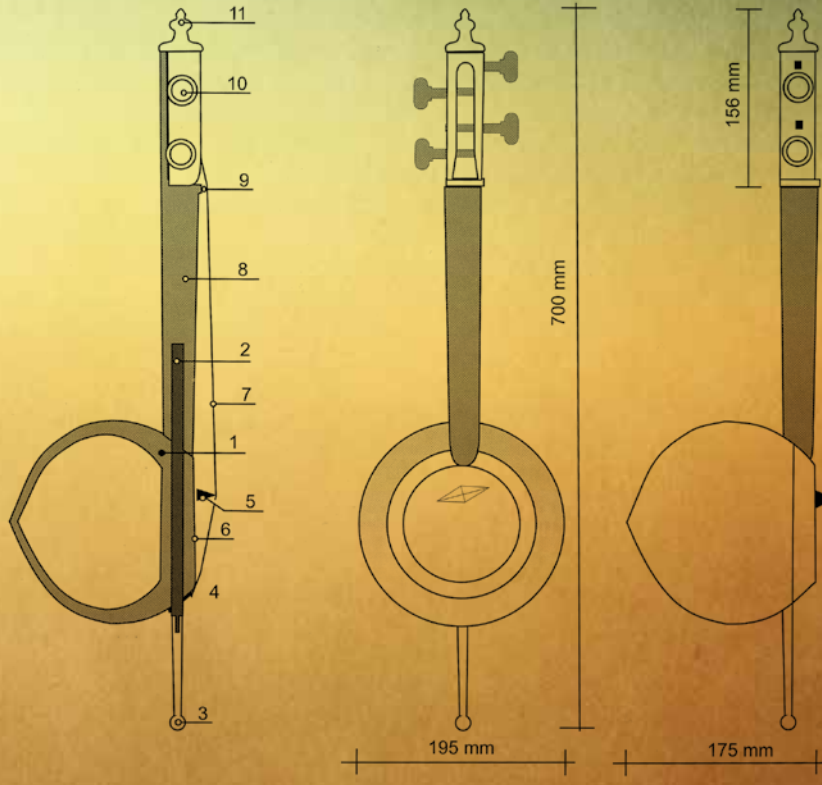
مليمتر، وتصنع من نبات الزعرور. وعند الأطراف تُشد بحزام صغير خصلة مكونة من ١٦٠-١٨٠ شعرة من شعر الخيل، وذلك بمساعدة الأنابيب المعدنية المثبتة بحرية في شكل الأنابيب مع الأقواس. وعند نهاية العزف يُفك كعب الآلة ويوضع معها في علبتها أو حقيبتها الجلدية. وفي الكثير من الأحيان يقومون بزخرفة الهيكل (خاصة القسم العلوى منه)، والرقبة، والرأس والمفاتيح، ويطعمونه بالصدف، والعاج، وبالخيوط النحاسية والذهبية.

في أغلب الأحيان يقوم المؤدى بالعزف جلوسا قابضا على الآلة بشكل أفقى، ومرتكزا بكعبها إلى ركبته اليسرى. ويمكن الضغط بسهولة على القسم السفلى من عامود القوس بالإبهام والسبابة لليد اليمنى. ويجرى التحكم في شد الشعر من خلال الضغط على الحزام الصغير بالأصبعين الأوسط والبنصر، الموضوعين بين عامود القوس وخصلة الشعر. وباعتبارها قاعدة، فإن القوس يجرى فوق الأوتار في القسم المطابق

وتوضع من الجوانب الطرفية للرأس داخل الثقوب المحفورة لها مفاتيح الضبط المصنوعة من خشب الجوز، التي تحمل أشكالا دائرية أو هرمية.

تتمتع الكمانشا بأربعة أوتار من الصلب (سيم)، ويُغلف الوتر الثالث والرابع السفليين منهم بخيوط من النحاس والبرونز. وفي بعض الحالات يتم تبديل الوتر الثانى ليُصنع من الألياف المعدنية بدلا من الصلب، وذلك للحصول على الصوت الناعم. وترتكز الأوتار إلى سنادة تقع على سطح الآلة، كما ترتكز إلى الفاصل العظمى الواقع عند النهاية العليا للرقبة. وتلتف احدى نهاياتها حول مفاتيح الضبط، ومن الناحية الأخرى تكسو في صورة العقدة الخطاطيف المعدنية للسنادة، المثبتة في الجانب العلوى للدعامة.

يصدر الصوت عن الآلة باستخدام القوس (كامان) الذى يبلغ طوله ٥٥٠-٥٩٠ مليمتر، وهو عبارة عن قسبة (شوبوك) مستقيمة أو مقوسة بعض الشيء، يبلغ قطرها ١٠



استطاع الملحن الأذربيجاني المعروف عزيز حاجيبيلي ابعاد المناقشات الواسعة التي جرت في سنوات العشرينات و الثلاثينيات للقرن المتضي حول صيانة او رفض الطار.

- | | |
|------|-----------------|
| (١) | الجسم |
| (٢) | محور الارتكاز |
| (٣) | السنادة |
| (٤) | حامل الوتر |
| (٥) | السنادة الكبيرة |
| (٦) | موجهة الصوت |
| (٧) | الأوتار |
| (٨) | الدستان |
| (٩) | السنادة الصغيرة |
| (١٠) | التقطيع |
| (١١) | الرأس |

توضع نحو الأوتار بصورة مائلة السنادة (خيريق) المصنوعة من خشب الجوز، والتي تتمتع بشكل مقوس ويبلغ طولها ٥٠-٦٠ ملليمتر وارتفاعها ١٠-١٤ ملليمتر. ويسمح وضع السنادة على هذا النحو، بالحصول على أكثر الأصوات قوة وجودة للمقامات المنخفضة والعالية على حد سواء. ويصل طول الرقبة ذات السطح المستقيم حتى ٤٥٠ ملليمتر وتضيق إلى الأسفل تدريجيا بدون التقسيمات المقامية على الدستان. ويُصنع الدستان من شرائح قرون الحيوانات.

ولتدعيم تثبيت الرقبة إلى الهيكل، يُدق عامود معدني عند النهاية السفلى للرقبة عبر الهيكل، ويساوى طوله نصف الطول الإجمالي لآلة الكمانشا. وعند نهاية العامود البارز من الهيكل، يُربط دبوس- سنادة صغيرة (شيش) بطول ١١٠-١٢٠ ملليمتر، يقل سمكه بعض الشيء إلى الأسفل وينتهي باستدارة سميكة. وفي القسم العلوي تنتقل الرقبة إلى الرأس المغروزة لتأخذ شكل العلبة ذات القمة المزخرفة (تاج).

أيضا آلات الكمانشا ذات الأربعة، والخمسة وحتى الستة أوتار. كما كان هناك الآلات، المشدود إلى هيكلها الجلد من الناحية السفلية والخارجية المسطحة [٤]. وتجدر الإشارة إلى أن النماذج القديمة لآلة الكمانشا يبلغ طول طرفها ضعف طول طرف الآلات الحالية تقريبا [٥].

الأجزاء الرئيسية لآلة الكمانشا الحديثة هي- الهيكل (شاناج)، ويتمتع بشكل مستدير مائل قليلا نحو الوسط، والرقبة الدائرية (جول)، الرأس المزخرف (كيليا) مع المفاتيح (أشيق) والعامود المعدني المستقيم. ويبلغ الطول الإجمالي للآلة ٧٠٠-٨٠٠ ملليمتر. ويصل قطر الجزء المكشوف للآلة إلى ١٠٠-١١٠ ملليمتر، والقطر الدائري المحيط إلى ١٨٠-٢٢٠ ملليمتر، وارتفاعها حتى ١٧٥ ملليمتر. وتُصنع بصورة رئيسية من أشجار الجوز. وفوق الجزء المكشوف (أوز، بردى) يُشد الجلد المصنوع من صدور سمك السلور الكبيرة، أو من حوصلة الأبقار. وعلى سطح الآلة بالقرب من الرقبة



يستخدمون ضبطاً آخر طبقاً للحن المعزوف. وفي زيارة عالم الطبيعة، الطبيب والرحالة الألماني إنجلبرد كمبير لأذربيجان خلال عامي ١٦٨٣-١٦٨٤، وضع آلة الكمانشا في المكانة الأولى بين الآلات الوترية ذات الأقواس، وذلك بسبب وقع نغماتها الرائع. وطبقاً لوصفه، فإن الكمانشا كانت تتمتع بثلاثة أوتار وأحياناً أربعة، وتصدر أصواتها عبر استخدام القوس المصنوع من شعر ذيل الخيول. ويرتكز فوق الأرض القسم السفلي للآلة الذي يبلغ طوله مرة ونصف مرة لراحة الكف. ويصل قطر الهيكل الدائري لآلة الكمانشا لطول راحة الكف، ويُشد إليه الغشاء الجلدي، الذي يحمل فوقه «الجسر الصغير» الجلدي (أى السنادة). حتى أوائل القرن العشرين، كان استخدام آلة الكمانشا ذات الثلاثة أوتار هو السائد في أذربيجان. وكانت أوتارها تُصنع من أمعاء الأغنام أو الأبقار. وعلى الرغم من ذلك، وطبقاً للمقتنيات المحفوظة في المتاحف، فقد كان هناك في تلك الفترة

يُصنع من القرع، وقشر شجر جور، أو الخشب المجوف، الذي يُشد فوقه جلد الثعابين من الجانب المكشوف. وتشهد الأدبيات في القرون الوسطى على وجود آلتى الكمانشا والجيجاك في وقت واحد، ومع ذلك فعند المقارنة بينهما، تحظى الأولى بالأفضلية [٣].

حول انتشار آلة الكمانشا في أراضى أذربيجان، فقد أمدتنا بالمعلومات مؤلفات شعراء القصائد الكلاسيكية مثل خاقانى شيروانى، ونظامى غنجواى ومحمد فضولى، وكذلك المنمنمات المُزينة للكتب للرسامين الأذريين مثل أقا ميريك، ومير سيد على وغيرهم. وطبقاً لما يذكره الموسيقى الأذرى البارز عبد القادر مرجاى (١٣٥٣-١٤٣٤/٣٥) فقد كانوا يستخدمون عند صناعة الآلة الموسيقية ذات الوترين، شعر ذيل الخيل أو الخيوط الحريرية، والتي تمنح أفضل الأصوات. وفوق جسم الآلة يشدون غشاءً مصنوعاً من قلب الأبقار. ويجرى دوزنة الأوتار عادة في الربع تون، ولكنهم كانوا

البروفسور سعدات عبد اللايفا

الأستاذة في النقد الفني

أكثر الآلات الموسيقية الصداحة تغريدا



وآسيا الوسطى. لذلك، فإن كل المحاولات الساعية قصدا لربط منشأ تلك الآلة بشعب واحد، هي محاولات ميئوس منها ولا تتمتع بالمصداقية العلمية.

يعود أصل اسم الآلة إلى كلمة «كامان»، التي تعنى القوس، أما نهاية الاسم «شا» فهي مشتقة من كلمة «شال» (العزف)، إشارة إلى أن الآلة لها قوس يُعزف به.

ويرى الباحثون أن الآلات الوترية ذات الأقواس قد نشأت انطلاقا من استخدام الأصابع. وللعزف عليها كانوا يستخدمون بدلا من الأصابع أو الريشة عامودا، ذا نهايات مشدود إليها الأوتار المصنوعة من شعر الحيوانات أو الجياد، مثل الوتر والقوس [١]. ويميل المتخصصون نحو وجهة النظر التي تشير إلى الأصل الهندي القديم أو الآسيوي للآلات الوترية ذات الأقواس [٢].

كانت آلة الكمانشا في البداية تتمتع بوتر واحد، وهيكل صغير نسبيا، ورقبة طويلة وطرف ممدود. وكان الهيكل

تتمتع الآلة الموسيقية الوترية الأذربيجانية القديمة ذات القوس «الكمانشا»، بصوت رقيق لطيف أسر على نحو يفوق الخيال، وتفتن نغماتها العقل وتأسره. وليس من قبيل الصدفة أن أوزير حاجي بيكوف مؤسس الموسيقى الأذربيجانية الاحترافية، يرى في الكمانشا أكثر الآلات الموسيقية انسيابية للألحان من بين الآلات الأخرى.

وتُعرف الكمانشا باسمها المذكور هذا في القوقاز، وإيران وأفغانستان. وفي مصر تُسمى الآلة المماثلة لها «كمانجة»، وفي تركيا- «إكليك»، وفي آسيا الوسطى- «جيجاك» («قيتشاك»). وما يثير الاهتمام ملاحظة أن اسم «الكمانشا» في تركيا تحمله آلة ذات قوس مشهورة ولكن تصميمها مختلف، وفي آسيا الوسطى يُسمى القوس المستخدم للعزف على آلة الجيجاك باسم «كمانشا»، أو مثلما في أذربيجان «كمان». وعلى هذا النحو، فإن المنطقة التي تنتشر فيها الكمانشا تشمل آسيا الصغرى، والقوقاز، والشرق الأدنى،